

# أولياء الله

شرح خطبة المتقين



آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



# المقدمة

تعتبر خطبة المتقين ، والمعروفة باسم خطبة "الهمام" ، من المعارف العرفانية الراقية و الوثائق الأخلاقية العالية من كتاب "نهج البلاغة" للإمام علي عليه السلام.

وقد ألقى الإمام علي (ع) هذا الخطاب استجابة لطلب صحابيه التقي المخلص اسمه "همام".

قال همام ، وهو من كبار الزهاد و العباد ، لأمير المؤمنين (ع):  
صف لي المتقين حتى كأني أراهم و أنظر إليهم.

اقتنع الإمام علي (ع) في إجابته بهذه العبارة:

"يا هَمَّام ، اتَّقِ اللَّهَ وَ أَحْسِنِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ  
مُحْسِنُونَ"

و لكن لم يكتف همام بهذه الإجابة المختصرة وطلب من الإمام شرح صفات الأتقياء بالتفصيل و أصر على ذلك.

فقام الامام أمير المؤمنين عليه السلام و بعد أن حمد الله ، ألقى  
الخطبة المذكورة.

في هذا الخطاب العرفاني و الأخلاقي ، يصف الإمام علي (ع)  
أولياء الله و عباد الرحمن و يبين بصيرتهم و سيرتهم في الحياة الدنيا  
بتعابير ملكوتية.

في هذا المقال الموجز ، سوف نشرح كلمات الامام علي بن أبي  
طالب (ع) ، و نبتهل الى الله عز و جل ، أن يجعلنا أيضا ممن يعمل  
بهذه المواعظ الكريمة.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الأولى

### خلق العالم وغنى الله

"فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ".

### توضيح

إذا اعتبر الإنسان عظمة العالم واتساع الكون ، فسيفهم بشكل أفضل سر كلمات الإمام علي (عليه السلام) عن غنى الله تجاه العالمين ، وسيرى نفسه والآخرين في حضور خالق الكون صغيرين.

لهذا السبب ، نناقش عظمة العالم الشاسع الذي نعيش فيه:

نحن البشر ، كأحد أجزاء الكائنات الأرضية ، نعيش على كوكب يزن 5972 سيكستيليون طنًا. (إذا أردنا عرض هذه الكمية بالأرقام، فعلينا أن نضع ثمانية عشر صفرًا أمام 5972).

ويبلغ قطر كوكب الأرض اثني عشر ألفًا وسبعمائة وستة وخمسين كيلومترًا في المناطق المدارية. يدور هذا الكوكب حول الشمس بمتوسط فاصلة 149.6 مليون كيلومتر من الشمس وبمتوسط سرعة مائة وثمانية آلاف كيلومتر في الساعة إلى جانب السيارات الأخرى.

الشمس ، التي تدور حول مركز مجرة درب التبانة ، يبلغ قطرها 1,380,000 كيلومتر (أكثر من 100 ضعف قطر الأرض) بسرعة 980,000 كيلومتر في الساعة. و يستغرق الأمر مائتين وخمسة وعشرين مليون سنة حتى تدور الشمس حول مركز المجرة مرة واحدة ، جنبًا إلى جنب مع أعضاء عائلة المجموعة الشمسية.

مجرة درب التبانة ، التي يبلغ قطرها أكثر من مائة ألف سنة ضوئية، تحتوي على أكثر من مائة مليار نجم وتتحرك في فضاء غير محدود بسرعة تسعمائة وخمسين ألف كيلومتر في الساعة.

تقدر كتلة المجرة المذكورة بحوالي 1.5 تريليون إلى 4.5 تريليون ضعف كتلة الشمس.

و يبلغ عرض أكبر المجرات في العالم ما يصل إلى 3 ملايين سنة ضوئية وتحتوي على أكثر من 100 تريليون نجم.

بناءً على المعرفة البشرية حتى الآن ، يقدر أن هناك أكثر من مائة مليار مجرة في العالم المادي الذي نعيش فيه.

تشكل هذه المجرات كلها ، جزءاً صغيراً من الكون. لأن العلماء يعتقدون أن أكثر من 73% من حجم العالم الطبيعي تتكون من حقيقة غير مرئية تسمى "المادة المظلمة" و "الطاقة المظلمة" ، وطبيعتها غير معروفة.

ما تمّ بيانه كان معلومات موجزة عن العالم الطبيعي ، وهو أحد عوالم الوجود. هذا بينما العوالم الأخرى في الكون ، مثل عالم الأرواح والملكوت ، أعظم وأعلى بكثير من عالم الطبيعة.

وهكذا فإن الإنسان هو أحد كائنات الأرض ، والأرض من كواكب النظام الشمسي ، و الشمس هي جزء من مائة مليار نجم من مجرة درب التبانة ، وهذه المجرة هي أيضاً عضو في أكثر من مائة مليار مجرة مرئية في الكون الطبيعي ، وتشكل مجموعة هذه الأجسام

العملاقة جزءاً صغيراً من حجم العالم الطبيعي ، والعالم الطبيعي  
بأكمله جزء من الكون.

وبهذه العبارة تتضح إلى حد ما عظمة وكبرياء خالق العالم ، تظهر  
أيضاً صغر البشر في حضرة الخالق العظيم.

و من هنا يتضح أن الله سبحانه و تعالى غني عن طاعة البشر و  
عبادته ، و أمن من عصيانه و معارضته.

وفي ضوء ما مضى يتضح رصانة وصحة كلام أمير المؤمنين علي  
بن أبي طالب (ع):

" فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنِ  
طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ  
عِبَادِهِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ " .

\*\*\*\*\*



## الفقرة الثانية

# تحديد مكانة الناس

"فقسّم بينهم معاشهم ، و وضعهم من الدنيا مواضعهم".

## توضيح

حيث أن بعض القراء قد يشمون رائحة الجبر من هذه العبارة ، فإننا

نشير الى النقاط التالية ، لفهم الكلام المذكور بشكل أفضل:

يتضح من مجموعة الآيات الكريمة من القرآن الحكيم والروايات

الإسلامية أن الله تعالى قد خلق الإنسان ككائن عاقل و مخير. من

وجهة النظر الإسلامية ، الإنسان هو باني مصيره ، سواء على

المستوى الفردي أو في السياق الاجتماعي.

فمن ناحية يقول خالق العالم في القرآن:

"و أن ليس للإنسان إلا ما سعى". (سورة النجم ، الآية 39).

من ناحية أخرى ، على المستوى الاجتماعي ، ينص القرآن على  
نفس القانون العام ويقول:

"إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ". (سورة الرعد ،  
الآية 15).

يتضح من هاتين الآيتين الكريمتين أن إرادة الله تعالى تعتمد على أن  
مصير الفرد والمجتمع مرهون بسعيهم وجهودهم ووعيمهم.

وعليه فإن كلام أمير المؤمنين (ع) بقوله: " فقسّم بينهم معاشهم ، و  
وضّعهم من الدنيا مواضعهم " يعني: أن الله سبحانه و تعالى قد وزّع  
أرزاق البشر في جميع أنحاء العالم وسيكسب جميع البشر لقمة  
العيش إذا عملوا و حاولوا الوصول اليها على المستوى الفردي  
والاجتماعي.

كما أن الله تعالى قد وضع كل مخلوق في مكانه اللائق حسب  
استحقاقه وجهده.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الثالثة

### مكانة المتقين و عباد الرحمن

"فالمتقون فيها هم أهل الفضائل".

#### توضيح

كلمة "المتقي" تعني صاحب التقوى. و "التقوى" تعني الوقاية بين الانسان و مخالفة أمر الله. فكلمة التقوى تلازم طاعة الله و الاجتناب عن معصيته.

تأتي مرتبة "التقوى" في المرتبة الثالثة بعد الإسلام والإيمان مقارنة بدرجات الكمال الروحي الأخرى.

يقول الإمام الكاظم (ع) في هذا الصدد:

"الإيمانُ فوقَ الإسلامِ بدرجةٍ وَ التقوى فوقَ الإيمانِ بدرجةٍ وَ اليقينُ فوقَ التقوى بدرجةٍ ، وَ ما قَسِمَ في الناسِ شيءٌ أقلَّ منَ اليقينِ ". (اصول الكافي ، 51/2 رقم 2).

لذلك ، فإن المستوى الأول من الكمال الروحي هو الإسلام.  
 "الإسلام" هنا يعني قبول شريعة محمد (ص) كدين إلهي.

والثاني هو الإيمان. "الإيمان" في هذا الحديث النبيل يعني الالتزام  
 الصادق والعملي بأوامر الشريعة.

الدرجة الثالثة من الكمال هي التقوى. تعني كلمة "التقوى" هنا الملكة  
 الروحية الراسخة في نفس الانسان المتقي ، التي تضعه دائماً في  
 طريق مشيئة الله وتمنعه من ارتكاب المعاصي وعصيان الحق.

الرابع هو اليقين. يعني "اليقين" هنا مراقبة الحقائق واكتشاف مبادئ  
 الشريعة بطريقة لا يبقى فيها أدنى غموض وشك بالنسبة للإنسان ،  
 ونتيجة الوصول إلى هذا المستوى هي الوصول إلى حالة التسليم  
 والرضا أمام إرادة الله.

بما أن بلوغ حالة "اليقين" يتطلب اجتياز ثلاث مراتب قبله ، والفوز  
 في الاختبارات الإلهية لإثبات خاصيتي التسليم والرضا أمام أمر الله،  
 لذلك نادراً ما يحدث الوصول إلى مرتبة "اليقين". ولهذا يقول الإمام

الكاظم (ع) في الحديث السابق:

"وَمَا قَسِمَ فِي النَّاسِ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ الْيَقِينِ"

لذلك فإن الأتقياء هم الذين ، بالإضافة إلى قبولهم لشريعة الإسلام دينًا إلهيًا ، والالتزام الصادق والعملية بأوامر الشريعة ، قد حازوا ملكة الطهارة الروحية التي تجعلهم يمتنعون عن المعصية و يعملون في طريق طاعة الله تعالى.

في المقاطع التالية ، يعبر أمير المؤمنين عن أهم علامات التقوى.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الرابعة

### الاعتدال في الحياة

"مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَ مَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ ، وَ مَشِيئُهُمُ التَّوَاضُّعُ . غَضُّوا  
أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ  
لَهُمْ".

### توضيح

بناءً على مبادئ علم الأخلاق ، تمتلك النفس البشرية أربع قوى على  
النحو التالي:

- القوة العاقلة

- القوة العاملة

- القوة الشهوية

- القوة الغضبية

القوة العاقلة هي العقل النظري ، أي العقل البشري من حيث أنه يدرك و يفهم المعطيات العلمية المحضة.

والقوة العاملة هي العقل العملي ، أي: العقل البشري من حيث أنه يحكم بما يجب فعله وما يجب تركه.

القوة الشهوية هي قوة الرغبات البشرية لما يتفق مع طبيعته.

القوة الغضبية هي القوة المانعة في الإنسان ضد ما يتعارض مع طبيعته.

و لكل من هذه القوى الأربع ثلاث حالات: الإفراط ، و التفريط ، والاعتدال.

### الحالات الثلاث للقوة العاقلة هي:

- حالة الإفراط و هي تسمى "الجريزة" أي: استخدام قوة الفكر والعقل في الأمور التافهة دون نتيجة.

- حالة التفريط و هي تسمى «البلاهة» أي : إغلاق التدبر و التفكير نهائيا ، حتى في قضايا مهمة وقيمة.

- حالة الاعتدال و هي تسمى "الحكمة" أي : استعمال العقل والحكمة في الأمور النفيسة و المفيدة ، وتجنب التفكير في الأمور التافهة و الباطلة.

### الحالات الثلاث القوة العاملة هي كما يلي:

- حالة الافراط و هي تسمى "الظلم" ، أي : تجاوز حدود العدالة و الانصاف مما يؤدي الى اضطهاد النفس أو الآخرين.

- حالة التفريط و هي تسمى "الانظلام" أي : قبول الظم و عدم المقاومة ضد من يظلمه.

- حالة الاعتدال و هي تسمى "العدالة" ، أي : الامتناع عن ظلم النفس والآخرين والامتناع عن قبول الظلم من قبل الآخرين.

### حالات القوة الشهوية الثلاث هي كالتالي:



- حالة الإفراط و هي تسمى "الشراهة" أي : تجاوز الحدود و الإفراط في الشهوات الجسدية.

- حالة التفريط و هي تسمى "الخمود" ، أي : الامتناع من كل الرغبات عامة ، حتى الحلال منها.

- حالة الاعتدال و هي تسمى "العفة" أي : الاعتدال في التمتع بما هو مشروع من النعم و ما يلائم الطبيعة ، و الامتناع عن الميول المخالفة للشريعة والقانون.

### حالات القوة العصبية هي كالتالي:

- حالة الإفراط و هي "التهور" ، أي : استخدام الغضب على أمور غير ضرورية و غير عقلانية.

- حالة التفريط و هي تسمى "الجبن" أي : الامتناع عن استخدام البطولة في الحالات الضرورية والعقلانية.

- حالة الاعتدال و هي تسمى "الشجاعة" ، أي : استخدام القوة الغضبية في الحالات الضرورية من وجهة نظر العقل والشريعة ، والامتناع عن ذلك في الحالات غير الضرورية و غير العقلانية.

في ضوء ما قيل ، يتضح أن الفضيلة الأخلاقية هي بلوغ الاعتدال في استخدام قوى الروح الأربع ، وبعبارة أخرى ، بلوغ فضائل "الحكمة" و "العدالة" و "العفة" و "الشجاعة".

و لأجل هذا ، يشير الإمام علي (ع) في هذه الخطبة إلى أهمية الاعتدال واستعمال قوى الروح في الحالات الصحيحة والضرورية ، والامتناع عن تجاوز حد الاعتدال ، و يقول في خصوص صفات المتقين:

"مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَ مَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ ، وَ مَشِيئُهُمُ التَّوَاضُّعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ".

\*\*\*\*\*

## الفقرة الخامسة

### مناعة روح المتقين

"نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ".

#### توضيح

هذه الميزة ، أي استقرار الحالة البشرية في جميع الظروف ، خاصة بأولياء الله. يقول ابن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات:

"العارف هَشَّ بَشَّ بِسَّامٍ، يُبَجِّلُ الصَّغِيرَ مِنْ تَوَاضِعِهِ كَمَا يُبَجِّلُ الكَبِيرَ، وَيَنْبَسِطُ مِنَ الْخَامِلِ مِثْلَ مَا يَنْبَسِطُ مِنَ النَّبِيِّهِ. وَكَيْفَ لَا يَهْشَ وَهُوَ فَرِحَانَ بِالْحَقِّ ، وَكُلَّ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُ يَرَى فِيهِ الْحَقَّ ؟ وَكَيْفَ لَا يُسَوِّيَ وَالْجَمِيعَ عِنْدَهُ سَوَاسِيَةً ... وَرَبَّمَا اسْتَوَى عِنْدَ الْعَارِفِ الْقَشْفُ وَالتَّرَفُ؛ بَلْ رَبَّمَا آثَرَ الْقَشْفُ".

يتضح من كلمات هذا الفيلسوف المسلم العظيم أنه عندما يبلغ الإنسان منزلة المعرفة الحقيقية بالله ، فإنه يرى نور الحق في جميع اللخلق

ويرى الله باعتباره الراصد والحاضر في جميع المواقف. و هذا الشخص الذي يوكل قلبه إلى الله سبحانه و تعالى ، يتكل على الله عز و جل في كل الأحوال ويعلم أنه ما يأتي إليه من عند الله فهو خير له. و من أجل هذا ، يقول ربنا سبحانه و تعالى :

**"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون" (سورة يونس، الآية 62).**

و يقول الحكيم نصير الدين الطوسي في شرح الاشارات و التنبيهات في شرح كلام ابن سينا:

"و هذان الوصفان أعنى الهشاشة العامّة و تسوية الخلق في النظر ، أثران لخلق واحد يسمّى بالرضاء ، و هو خُلق لا يبقى لصاحبه إنكار على شيء ، و لا خوف من هجوم شيء ، و لا حزن على فوات شيء .

و إليه أشار – عزّ من قائل – : "و رضوان من الله أكبر". و منه تبين تأويل قولهم : خازن الجنة ملك اسمه رضوان".

يتضح من هذا البيان العميق أن السمة المذكورة تخص العارفين الحقيقيين و عباد الرحمن الذين يسميهم القرآن الكريم "أولياء الله" ، ويعتبر الوصول إلى هذه المكانة خلاصًا عظيمًا و نجاحًا باهرا ويقول:

" ... الذين آمنوا و كانوا يتّقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم".

\*\*\*\*

## الفقرة السادسة

### حب لقاء الله

"وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ  
طَرَفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ " .

### توضيح

بما أن روح الانسان هي حقيقة مجردة لعالم الملكوت ، فإنها في  
عالم الطبيعة هذا تشعر بالغربة ، وفي جوهرها ترغب في العودة  
إلى موطنها الأصلي. تتزايد هذه الرغبة والإرادة عندما تنتظره  
منزلة رفيعة و أجر عظيم في عالم الآخرة.

في نفس الوقت ، ما يجعل النفس البشرية تبقى في جسدها الطبيعي  
هو أحد الأمور التالية:

أ- انشغال النفس البشرية بروعة مظاهر الدنيا ، ونتيجة ذلك إهمال الآخرة و عدم الالتفات الى الموطن الأصلي للإنسان. و لكن هذا صحيح بالنسبة للجهلاء الذين لا يدركون عالم الحقيقة. لذلك ، إذا أزيلت في يوم من الأيام حجاب عالم الطبع عن أعين هذه المجموعة ورأوا مكانهم الحقيقي و الأبدي ، فإن الرغبة في البقاء في هذا القفص الأرضي لن تبقى أبدًا في قلوبهم.

ب- سبب آخر لرغبة بعض البشر في البقاء في هذه الدنيا هو ارتكاب الخطيئة وعصيان الله ، مما يؤدي إلى تدمير مكانة العصاة و الظالمين في الآخرة. و هذا صحيح بالنسبة لمحبي الدنيا والمعجبين بالعالم الطبيعي ، الذين يبيعون النعيم الأبدي لبضعة أيام من الاستمتاع الدنيوي ، ويعتبرون هذا العالم المادي جنتهم.

لذلك يقول نبي الإسلام (ص):

"الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر".

ج- العامل الثالث في بقاء روح بعض البشر في الجسد هو فقط الخضوع لأمر الله وإرادة الحق ، التي جعلت النفوس تبقى مع جسد

الأفراد الى زمان معين يسمى "الأجل المسمى". وينطبق هذا على القديسين الإلهيين والعرفاء الحقيقيين الذين يرون مكانهم بالقرب من رحمة الحق في عالم الآخرة ، و يشتاقون إلى تلك المنزلة الرفيعة و ينتظرون لحظة وصولهم الى المكانة الراقية.

لذلك ، إذا لم يكن المرسوم الإلهي لحياة أرواح عباد الله المخلصين بأجسادهم المادية ، فإن أرواحهم السامية والسماوية لن تبقى أبدًا في أجسادهم رغبة في لقاء الله ، والوصول إلى مكانة القرب من الله ، والطيران في سماء عالم الملكوت.

\*\*\*\*\*



## الفقرة السابعة

### تجلي عظمة الله في نفوس الأتقياء

"عَظَمَ الخَالِقُ في أَنفُسِهِم فَصَغَرَ ما دُونَهُ في أَعْيُنِهِم "

#### توضيح

في هذه العبارة الجميلة يشير الإمام علي (ع) إلى صفة أخرى للتقوى ونتائجها الطبيعية. هذه الميزة القيّمة هي معرفة عظمة الله وجلاله ، و نتيجة ذلك هي إدراك صغر العالم وعدم قيمة مظاهره المؤقتة التي تفنى و لاتبقى.

هذه النعمة الإلهية العظيمة ، أي المعرفة الحقيقية بالله ومجده ، هي إحدى القيم الأساسية التي تجلب العديد من الفضائل الأخلاقية الأخرى. ولهذا يقول أمير المؤمنين (ع) في موضع آخر من نهج البلاغة في وصف أحد أصحابه الصادقين المخلصين اسمه "عثمان بن مظعون":

"كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَحْ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا  
 فِي عَيْنِهِ، وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ وَلَا  
 يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً ، فَإِنْ قَالَ بَدَّالِقَائِلِينَ وَنَقَعَ  
 غَلِيلَ السَّائِلِينَ ، وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً ، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ  
 غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً ، وَكَانَ لَا يُلُومُ  
 أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ ، وَكَانَ لَا  
 يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْنِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَلَا يَقُولُ مَا لَا  
 يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ  
 عَلَى مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَّهَهُ أَمْرَانِ  
 نَظَرَ أَيْهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزُّمُومَا  
 وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ  
 تَرَكَ الْكَثِيرِ".

كما ترى ، يشير الإمام علي (ع) في بداية حديثه من أجل التعريف  
 بصحابيه التقيّ ، إلى سمة المعرفة الحقيقية بعظمة الله ، ثم يشير الى  
 نتائجها.

وسبب أهمية ذلك أن الله هو خالق الكون كله و و بارئ جماله  
 وكماله. يعرف كل حكيم أن خالق كل كمال هو أكمل وأعظم من  
 المخلوق الذي خلقه. لذلك ، من ينجح في معرفة الله وكبريائه ويرى  
 نفسه في نور مجده ، يختفي أمامه كل العالم وما سوى الله.

وفقًا لوجهة نظر العارفين بالله ، فإن الكون ليس سوى الظل  
 الوجودي للكائن الأسمى ، وكل شيء في الحقيقة مغمور ومستهلك  
 في حقيقته.

و بما أن الإنسان هو المظهر الكامل لأسماء الله وصفاته ، لذلك فإنه  
 من خلال فنائه في الحق ، يرى أيضًا العالم فانيا فيه و لاينخدع  
 بسحره بروعته.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الثامنة

### بصيرة المتقين

"فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ "

### توضيح

ولما كانت منزلة "التقوى" بعد مرتبة "الإيمان" وقبل منزلة "اليقين"، يقول الإمام علي (ع) عن المتقين: " فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا". لكن إذا تجاوز الإنسان هذه المرحلة ووصل إلى حالة اليقين ، فمن الواضح أنه يرى الجنة والنار بالفعل ، لا كمن رآها.

السر في هذا الأمر هو أن عالم الآخرة موجود بالفعل ، الجهة والنار موجودان أيضًا الآن. ليس الأمر أنه بعد نهاية هذا العالم وموت جميع البشر ، سيتم إنشاء عالم الآخرة بما فيه الجنة و النار.

لقد أثبت الحكيم العظيم في العالم الإسلامي ، صدر المتألهين الشيرازي ، من وجهة نظر الفلسفة ، أن عالم الآخرة ليس منفصلاً عن عالم الدنيا. و يشير الى أنه : عندما يكون الجنين في بطن أمه ، فهو موجود بالفعل في هذا العالم ، ولكن لأنه لا يميز الحقيقة ، فهو لا يعرف و لا يرى هذا العالم. و هكذا ، بسبب حجاب الطبيعة ، لا يعرف معظم الناس عالم الآخرة. و نحن نعلم في ضوء الحكمة الالهية أن تشخص الانسان هو بروحه لا بجسده ، لأن أجزاء و خلايا جسده تتغير ويتحول باستمرار ، و بعد مرور زمان معين يتغير الجسد تمامًا. بينما يتم الحفاظ على هوية الشخص الذي يمتلك ذلك الجسد.

وبناءً على ذلك ، فإن أولياء الله المخلصين لديهم البصيرة الباطنية بحيث يمكنهم فتح الستائر المظلمة للعالم الطبيعي ورؤية نشأة الآخرة بما فيها الجنة ونعيمها والجحيم وعذابها.

لذلك قال أمير المؤمنين وإمام العارفين علي بن أبي طالب (ع) الذي بلغ أعلى درجات اليقين:

"لو كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا".

إن أهل الجنة في الدنيا قريبون من النعمة الإلهية بعملهم المرضي  
الله، وإذا تمتعوا بالدرجة المذكورة من البصيرة وجدوا أنفسهم في  
الجنة. كما أن أهل النار من الفساق و الظالمين و القتلَة أيضا إذا  
استطاعوا رؤية الحقيقة ، فإنهم يرون أنهم في جهنم الآن ، وأن  
أعمالهم الشريرة هي نار وعذاب الجحيم.

يروى الغزالي قصة في كتاب "كيمياء السعادة" بما معناه بالاختصار  
هو كما يلي:

خرج رجل مخمور من الحانة ، وبسبب السكر واللاعقلانية ، بدلاً  
من العودة إلى المنزل ، غادر المدينة وذهب إلى الصحراء. بعد  
فترة، وصل إلى مكان مقابر المجوس. و لأنه كان سكران، رأى  
مشهدًا واعتقد أنه تم إقامة حفل زفاف له هناك. لأنه رأى من حوله  
أشخاصًا مع ثياب بيضاء ملقون على الأرض ، ورأى امرأة برداء  
أبيض تقف بجانبه على الأرض. كان يعتقد أن المرأة هي العروس  
التي يريد الزواج منها. جلس سعيدًا على الأرض واستمر في الشرب

ويده على رقبتها ، وفي نفس الوقت سقط في نوم عميق مع الفرح والسعادة.

عندما أشرقت الشمس ، استيقظ على حرّ الشمس ، وبينما استفاق من حالة السكر السابق ، تذكر مراسم الليلة السابقة ونظر حوله بسعادة. لكنه واجه مشهدًا مرعبًا. لأنه رأى أنه جاء إلى مقبرة المجوسيين الليلة الماضية وهو في حالة سكر ، و المجوس يضعون موتاهم في مكان مرتفع على الأرض. كانت تلك الملابس البيضاء هي أكفان الجثث التي كانت حوله. كانت المرأة ، التي يعتقد أنها عروسه وزوجته المستقبلية ، امرأة عجوز ماتت قبل يوم وتم وضعها هناك.

يقول الغزالي: "كان هذا المخمور في نفس المكان وفي وسط الزحام الليلة الماضية ، لكنه لم يستطع أن يرى الحقيقة بسبب السكر والشرب الذي أعمى عينيه. ولكن عندما استعاد وعيه ، كان قادرًا على إدراك حقيقة المشهد ومعرفة ما كان عليه من حالة بائسة.

الإنسان الذي يرتكب المعاصي و الفسوق في هذا العالم ، ربما يتلذذ عند ارتكابها و لكنه بسبب حجاب الطبيعة لا يستطيع أن يرى ما

بداخل سلوكه وهو الجحيم ونار جهنم ، ولكن إذا كان قادرا على  
البصيرة المعنوية لكان يعرف أنه بالفعل في عذاب الجحيم ، ولكن لا  
يعلم.

\*\*\*\*\*



## الفقرة التاسعة

### الفضائل الأخلاقية للأتقياء

"قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ ."

### توضيح

ذكرنا سابقا أن الفضائل الأربع من وجهة نظر علم الأخلاق هي

كما يلي:

- الحكمة.

- العدالة.

- الشجاعة.

- العفة.

و في المقابل ، هنا ثمانية أشياء و هي أمهات الرذائل الأخلاقية كما

يلي:

- الجُرْبُزَة.

- البلاهة.

- الظلم.

- الانظلام.

- التهور.

- الجُبْن.

- الشره.

- الخمود.

و أشرنا إلى أن الفضائل المذكورة هي حد الاعتدال في قوى الروح. وهكذا ، فإن الصفات الثماني التي اعتبرت رذائل هي حالات الافراط و التفريط لقوى الروح الأربع.

إذا تمكن الإنسان من تحصيل أمهات الفضائل وتجنب أمهات الرذائل ، فسيكتسب بسهولة الصفات الأخلاقية الجميلة التي ذكرها الإمام علي (ع).

و لمزيد من التوضيح ، نصف كل واحد من الكمالات المذكور في العبارة أعلاه:

**الصفة الأولى:** "قلوبهم محزونة".

إن حزن قلوب الأتقياء لا يعني أنها تحزن على ضياع شيء أو وقوع مصيبة ، لأن القرآن الكريم في آيات كثيرة يستثني هذا النوع من الحزن والأسى عن القديسين و أولياء الله، ويقول: :

"ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (سورة يونس ، الآية 62).

و من هنا نعلم أن حزن قلوب المتقين يشير إلى الهمّ الذي يأتي من أسباب أخرى ، مثل أنهم يرون أن عبادتهم ليست كما يتوقعون ، والإحباط من أجل أن كثيرا من الناس لا يهتدون ونحو ذلك.

ومن النقاط الأخرى التي تكمن في هذه العبارة أن الحزن والأسى يجب أن يختبئاً في القلب ، وأن لا يظهر في الوجوه والسلوك اليومي. كما جاء في الحديث الشريف:

"المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه".

**الصفة الثانية:** "وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ".

عادة ما يكون الدافع وراء التحرش بالآخرين إشباع الرغبات الجسدية أو الغضب المسيطر على نفس شريرة. و لكن بما أن الأتقياء ، في ضوء الحكمة والعدالة والشجاعة والعفة ، يمتلكون سيطرة كاملة على رغباتهم الجسدية وشهواتهم ، و يقيدون الغضب بقوة إيمانهم ، لذلك فإن الناس الآخرين في مأمن من شرهم واضطهادهم.

**الصفة الثالثة:** "وأجسادهم نحيفة".

ومعنى هذه العبارة أن الأتقياء يتجنبون الإفراط في الأكل والنوم و رفاهية الجسد.

وقد اقتبس العارف الكبير الشيخ حسن علي الأصفهاني - رحمه الله  
- هذه الأبيات من الشعر وأكدها في نصائحه لتلامذته:

سيرى العجائب من يقلل ثلاثة  
أكلا و نوما و اختلاطا بالورى

و يديم ذكر الله في أوقاته  
فيرى الإله و ما سواه فلا يرى

**الصفة الرابعة:** "وحاجاتهم خفيفة".

هذه العبارة القصيرة تشير إلى صفة أخرى من صفات الأتقياء ، و  
هي التي ذكرها الإمام علي (ع) ، وامتدح بها صحابيه الآخر  
"عثمان بن مظعون" على النحو التالي:

"كان قليل المؤنة و كثير المعونة".

أي أن نفقات معيشته كانت قليلة ، و لكن مساهماته للآخرين كانت  
كثيرة.

الصفة الخامسة: "و أنفسهم عفيفة".

سبق أن أوضحنا أن "العفة" هي حالة اعتدال في القوة الشهوية. لذلك، من أجل بلوغ هذه الفضيلة ، يكون للقديسين الإلهيين سيطرة كاملة على رغباتهم الجسدية ولا يسقطون أبدًا في هاوية الإفراط أو التفريط في الشهوات.

\*\*\*\*\*

## الفقرة العاشرة

### الرؤية المستقبلية للأتقياء

"صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُم رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ ، تِجَارَةٌ مُرَبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُم رَبُّهُمْ ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوا ، وَ أَسْرَتَهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا " .

### توضيح

إذا استطعنا أن نتخيل خلود الحياة الآخرة ، فسوف ندرك عمق المعنى في كلمات الإمام علي (ع) و أن الحياة في هذا العالم قصيرة جدا مقارنة بحياة الآخرة السعيدة. حياة الإنسان في هذا العالم الطبيعي ، مهما طال أمدها ، هي كلاشيء في مواجهة الحياة اللانهائية في عالم الأرواح. لأن أي رقم مهما كان كبيرا فهو تافه مقارنة باللانهاية.

لهذا السبب ، يعتبر أمير المؤمنين (ع) تفضيل الحياة الأبدية في الآخرة على الحياة الدنيا القصيرة وغير المستقرة على أنها "تجارة مربحة".

للوصول إلى هذا المستوى من المعرفة ، لا يندفع الأتقياء بإغراءات الدنيا ونعمها العابرة ، بل يضحون بأرواحهم لتحقيق السعادة الأبدية في الآخرة.

و لسان الحال لهؤلاء القديسين هو ما جاء في مناجاة الامام السجاد (ع) الذي يقول:

"واستغفرک من کل لذة بغير ذکرک ، و من کل راحة بغير أنسک، و من کل سرور بغير قریک ، و من کل شغل بغير طاعتک".

محاربة الدنيا عند القديسين هي لدرجة أن النبي خضر (ع) قد انفصل و انسحب من النبي موسى عليه السلام لتجنب الشبهة في طلب الدنيا.



يذكر أن النبي موسى طلب من النبي خضر أن يسمح له بالسفر معه ووعده بالصبر وضبط النفس في الأحداث أثناء السفر. نقرأ هذه القصة في سورة الكهف كما يلي:

"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَحْرِقْتَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا «71» قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا «72» قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا «73» فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا «74» قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا «75» قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا «76» .

بعد هذه الحادثة التي أغضبت موسى كثيراً ، وطبقاً للروايات ، هاجم خضر (عليه السلام) واحتج على أفعاله بكلمات قاسية ، استمر كلاهما في طريقهما وبقيا معاً.

نقرأ بقية القصة في القرآن كالتالي:

"فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا «77» قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا".

ومن النقاط المهمة في هذه الآيات القرآنية أن النبي خضر ، بعد الحادثتين الأولى والثانية ، لم يقاطع النبي موسى و لم ينفصل منه نهائيا ، رغم تعبيره عن غضبه وهجومه الحاد. أما في الحادثة الثالثة، فلم يعرض موسى عليه السلام إلا طلب الأجر من أموال الدنيا. ولكن بعد تقديم هذا العرض المالي من قبل موسى، انزعج النبي خضر (ع) إلى درجة أنه قال بشكل قاطع: "هذا فراق بيني و بينك" ، وبعد أن أوضح دوافع الأحداث المذكورة وأسبابها تركه نهائيا.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الحادية عشرة

### ليلة الأتقياء

"أما الليلَ فصاقونَ أقدامَهُم ، تالينَ لأجزاءِ القرآنِ يُرَتِّلونها ترتيلاً .  
يُحزِّنونَ بهِ أنفُسَهُم و يَسْتَنثِرونَ بهِ دَواءَ دائِهِم . فإذا مرّوا بآيةٍ فيها  
تشويقَ رَكَنوا إليها طمعا ، و تطلّعتِ نفوسُهُم إليها شوقا ، و ظنّوا أنّها  
نُصبَ أعينِهِم . و إذا مرّوا بآيةٍ فيها تخويفَ أصغوا إليها مِسامِعَ  
قلوبِهِم ، و ظنّوا أنّ زفيرَ جَهَنَّمَ و شهيقَها في أصولِ آذانِهِم ، فَهُم  
حانونَ على أوساطِهِم ، مُفترشونَ لِجباهِهِم و أكفِّهِم و رُكَبِهِم و  
أطرافِ أقدامِهِم ، يَطلبونَ إلى اللهِ تعالى في فكاكِ رِقابِهِم".

### توضيح

تشير هذه العبارات إلى أسرار مناجاة المتقين. كما يعبر عن طريقة  
تفكيرهم وتأمّلهم أثناء تلاوة القرآن الكريم.

لشرح حالة القديسين أثناء تلاوة القرآن ، نستعرض بإيجاز درجات  
قراءة هذا الكتاب المقدس :

1- بعض الناس الذين يشكلون غالبية القراء ، يقرؤون القرآن ظاهرياً دون أن يتأملوا آياته.

من الطبيعي أن هذه المجموعة لن تستفيد كثيراً من هذا الكتاب المقدس وتحرم من المعرفة العليا التي يحتوي عليها.

2- المجموعة الثانية هي جماعة الحكماء الذين يسعون ، بالإضافة إلى تلاوة آيات القرآن ، إلى فهم عميق لمعانيها ، ومن خلال الغوص في أعماق هذا المحيط اللامحدود ، يصطادون الدرر الكامنة فيه. لكن أسلوب هذه المجموعة هو فقط الأسلوب العلمي لكتاب الوحي.

3 - المجموعة الثالثة هي زمرة الأتقياء الذين بالإضافة إلى تأملهم بآيات القرآن ، يفتحون قلوبهم أمام الرسائل العينية للقرآن الكريم ، فيفرحون عند تلاوة آيات الرحمة كما أنهم مشمولون في تلك النعم الإلهية العظيمة. و ترتعد قلوبهم عندما يسمعون آيات العذاب و يبدو أنهم محكوم عليهم بتحمل ذلك.

يشير الإمام علي (ع) في العبارة المذكورة إلى حالة المتقين في تلاوة القرآن.

4- أما المجموعة الرابعة هم الموقنون (أي أهل اليقين) الذين يتابعون الحقائق الخفية في القرآن و يفتحون أبواب قلوبهم و أرواحهم تجاه التجليات العرفانية و الحقائق الكشفية للقرآن الكريم.

و هؤلاء الموقنون عند تلاوة القرآن الكريم ، حينما يصلون إلى آيات الرحمة ، يرون الجنة وأهل الجنة بأعينهم الباطنية، وعندما يصلون إلى آيات العذاب يرون نزلاء النار ويسمعون صراخهم بأذانهم الروحية.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الثانية عشرة

### نهار الأتقياء

"أما النهارَ فحلّماءُ عُلماءُ ، أبرارَ أتقياء . قد برّاهمُ الخوفُ برّي  
القِداحِ يَنْظُرُ إليهمُ الناظرُ فيحسبُهُم مَرَضِي ، وَ ما بِالقومِ مِنْ مَرَضٍ ؛  
و يَقُولُ : لَقَدْ خولَطُوا ، و لَقَدْ خالَطَهُمُ أمرٌ عظيمٌ . لا يَرْضَوْنَ مِنْ  
أعمالِهِم القليلَ ، وَ لا يَسْتَكثِرُونَ الكثيرَ . فهُمُ لأنفُسِهِم مُتَّهِمُونَ ، و  
مِنْ أعمالِهِم مُشْفِقُونَ . إذا رُكِّيَ أحدٌ مِنْهُم خافَ مِمَّا يُقالُ لَهُ ، فيقولُ :  
أنا أَعْلَمُ بِنفسي مِنْ غيري ، و رَبِّي أَعْلَمُ بي مِنِّي بِنفسي ، اللَّهُمَّ لا  
تؤاخذني بِما يَقولونَ ، و اجعلني أَفضلَ مِمَّا يَظنُّونَ ، و اغفِرْ لي  
ما لا يَعْلَمُونَ".

### توضيح

يشير الإمام علي (ع) في شرح سلوك المتقين أثناء النهار إلى صفات أخلاقية جميلة أخرى على النحو التالي:

## الصفة الأولى - العلم

إن بيان العلم في مقدمة كلام أمير المؤمنين (ع) يبين القيمة التي لا يمكن تعويضها في تنظيم السلوك البشري بالنسبة للفرد والمجتمع. يعتمد التوجيه البشري على إشراق شمس المعرفة والوعي. لهذا السبب نقرأ في حديث نبيل:

"العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه".

كما اعتبر القرآن الكريم أن العلم والحكمة ضروريان لمعاملة الناس في مجال دعوتهم إلى الحق ، ويقول:

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة".

(سورة النحل الآية 125).

## الصفة الثانية - الحلم

الحلم و شرح الصدر زينة العلم وكماله. المعرفة وحدها ، بدون مساعدة الأخلاق الجميلة ، لا يمكن أن تكون خالق المدينة الفاضلة. ولهذا يقول نبي الإسلام الكريم في ابتهاله إلى الله تعالى:

"اللهم اغنى بالعلم و زيتي بالحلم"

(مستدرك الوسائل ج 11 ص 291).

**الصفة الثالثة: الاحسان للناس**

نقرأ في كلمة جميلة من أمير مؤمن عليه السلام:

"من كثر إحسانه أحبّه إخوانه"

**الصفة الرابعة - الزهد و التقوى**

أفضل الصفات الانسانية الجميلة والفضائل الاخلاقية في البعد الفردي والاجتماعي هو تقوى الله سبحانه و تعالى. الإنسان المتقي دائماً تحت رعاية الله ، وفي تقلبات الحياة ، يتمتع بعون الله ، كما يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

"إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان كفور"

(سورة الحج الآية 38).

**الصفة الخامسة - اتّهام النفس**



واحدة من أجمل الفضائل الأخلاقية هي عدم إلقاء اللوم دائماً على الآخرين عند مواجهة الإخفاقات ، ولكن إلقاء اللوم على أنفسنا أولاً. حتى لو مدحنا الآخرون ، فلا يجب أن نفخر بمدحهم ونتجاهل نقاط ضعفنا.

ومن الأمثال الشائعة في الغرب:

"عندما تشير إلى الآخرين بإصبعك السبابة وتلقي باللوم عليهم ، فإن أصابعك الثلاثة الأخرى تشير إليك."

ولهذا يقول الإمام علي (ع) في وصف التقوى:

"فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ ، وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اَللّٰهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَ اجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ".

\*\*\*\*\*

## الفقرة الثالثة عشرة

### كمالات الأتقياء

"فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، و حَزْمًا في لِين ، و إيمانًا في يقين ، و جِرْصًا في عِلْم ، و عِلْمًا في جِلْم ، و قَصْدًا في غنى ، و خشوعًا في عبادة ، و تَجَمُّلاً في فاقَة ، و صَبْرًا في شِدَّة ، و طلبًا في حلال ، و نشاطًا في هُدَى ، و تَحَرُّجًا عن طمع ."

### توضيح

في هذه العبارة يشير الإمام علي (ع) إلى تطور القديسين الإلهيين في القيم الإلهية الاثنتي عشرة على النحو التالي:

#### 1- القوة في الدين

الأتقياء ليسوا أناس متدينين فقط ، بل وصلوا إلى القوة والقدرة اللازمتين في أمر الدين ، وقد تغلغل التمسك بالشرعية والسير في طريق مشيئة الله تعالى في نفوسهم كملكة روحية.

## 2- حزمًا في لين

صفة "الحزم" تعني فحص جوانب الموضوع والتبصر بشكل دقيق و صحيح و أخذ القرار مع دراسة أبعاد الأمر.

صفة "لين" تعني اللطف والمرونة ، الأمر الذي يتطلب المودة والتفاعل اللطيف مع الآخرين.

نعرف من نص العبارة أعلاه أن هاتين الصفتين يجب استخدامهما بطريقة تجعلهما أمرا هادفاً ومخططاً له اخلاقياً، وليس فقط كتكتيك دبلوماسي مثل ظهور بعض السياسيين الذين يبتسمون لبعضهم البعض في الاجتماعات السياسية الثنائية ، ولكن يعطشون لدماء بعضهم البعض. بل هي طريقة إستراتيجية ومحسوبة في جميع المجالات.

جاء في حديث شريف عن الرسول الكريم (ص):

"قال رسول الله (ص) : ألا اخبركم بمن تحرم عليه النار خدا ؟ قالوا : بلى

يا رسول الله. قال : الهين القريب ، اللين السهل".

### 3- إيماننا في يقين

تشير هذه الصفة إلى تطور الأتقياء في بُعد طمأنينة القلب ، ونضج معتقداتهم الصادقة حول الأوامر الإلهية وتعاليم الشريعة.

### 4- حرصا في علم

من خلال التعبير عن هذه الصفة ، يشرح الإمام علي (ع) صفة مهمة للتقوى. لسوء الحظ ، في عصرنا ، من أجل معرفة التقوى ، يكفّي البعض فقط ببيان بُعد الزهد والابتعاد عن مظاهر الدنيا ، ويوجه اهتمام أقل بضرورة تعلم المعرفة ودراسة العلم ، من أجل بيان حقيقة التقوى الأصيلة.

ما دفع أمير المؤمنين (ع) إلى إدخال بُعد اكتساب العلم و الحرص في التعلم كواحد من معايير التقوى الأساسية ، أن الزهد الظاهر عند الأفراد ، إذا كان بدون العلم و المعرفة ، فلا يضمن سعادة الناس. و يمكن العثور على أمثلة لهذا الزهد عديم الجذور في بعض خوارج نهروان خلال خلافة الإمام علي. كان خوارج نهروان يعتبرون أنفسهم من الزهاد و العباد و قد نقشت علامة السجود على جباه

كثيرين منهم ، لكن بسبب قلة المعرفة و سوء الفهم بحقيقة الإسلام قد حاربوا خليفة النبي الأعظم والإمام المعصوم في زمانهم.

## 5- علما في حلم

يقول الإمام الباقر (ع) في وجوب تناسق المعرفة و الصبر:

"ما شيبَ شئٌ بشئٍ أحسنَ منِ حلمٍ بعلمٍ".

## 6- قصدا في غنى

وهذه الصفة تشير إلى البعد الاقتصادي وأهمية القناعة وتجنب الإسراف والهدر عند كثرة النعم. بما أن الأتقياء قد خلصوا من فخ الإفراط في القوة العاملة ووصلوا إلى منزلة العدالة ، فإنهم بطبيعة الحال يمتنعون عن الإسراف و التبذير ، حتى في حالة الغنى و وفور الثروة.

## 7- خشوعا في عبادة

جوهر العبادة هو الشعور بالعبودية أمام الله و مكافحة الكبر و الغرور.

لذلك ، فإن التواضع في العبادة يؤدي إلى الكمال وتثبيت حقيقة عبادة الله.

### 8- تجملا في فاقة

من سمات القديسين الإلهيين أنهم يحافظون على كرامتهم واحترامهم في جميع الظروف ، حتى في أوقات الفقر. الفقر والحاجة لا تجبرهم أبداً على قبول العجز والإذلال ؛ بل إنهم لا يظهرون آثار الفقر على الآخرين ويتظاهرون بأنهم أغنياء.

### 9- صبرا في شدة

الصبر هنا يعني المقاومة و الاستقامة تجاه المشاكل. لذلك ، فإن الأتقياء ، بالإضافة إلى تزيينهم بزينة المعرفة والصبر والزهد والتواضع وغير ذلك من الصفات الأخلاقية ، يتمتعون بنعمة الشجاعة وقوة القلب في مواجهة أحداث العصر الرهيبة.

## 10- طلبا في حلال

تشير هذه العبارة القصيرة إلى سمتين ثمينتين: أولاً ، يسعى الرجل التقي إلى كسب لقمة العيش لنفسه والناس الذين تحت رعايته.

ثانياً ، من أجل كسب لقمة العيش ، يذهب إلى تجارة الحلال ويتجنب الاستثمار في الوسائل غير الشرعية و غير القانونية.

## 11- نشاطا في هدى

إن الإنسان التقي لا يكتفي أبداً بمستوى الإرشاد الذي وصل إليه ، ولكنه مجتهد ومبهج من أجل رفع مستوى الاقتراب من الله والوصول إلى مكانة أعلى في بعدي المعرفة والعمل. ولهذا نسأل الله في الصلاة أن يمن علينا باستمرار اتباع طريق الهدى والتعزيز في أمر الهداية ، ونقول:

"اهدنا الصراط المستقيم".

## 12- تخرجنا عن طمع

إن الجشع بلاء النفس البشرية ودمار الحياة السعيدة. تجنب الحرص  
و الجشع والإسراف لا يتحقق إلا في ضوء الاتكال على الله ، الذي  
هو من صفات المتقين.

ويحذر نبي الإسلام ، صلى الله عليه و آله ، أتباعه من هذا الرذيلة  
الأخلاقية ويقول:

**"عليك باليأس ممّافي أيدي الناس فإنّه الغنى الحاضر. و إياك والطمع فإنّه  
الفقر الحاضر".**

\*\*\*\*\*



## الفقرة الرابعة عشرة

### الخوف و الرجاء عند الأتقياء

"يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمَسِّي وَ هَمَّهُ الشُّكْرُ ، وَ يُصْبِحُ وَ هَمَّهُ الذِّكْرُ ، يَبِيْتُ حَذْرًا وَ يُصْبِحُ فَرِحًا ؛ حَذْرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَ فَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ. إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَهُ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحِبُّ. قُرَّةٌ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَ زَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْرُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ".

### توضيح

في هذه العبارة يشير الإمام علي (ع) إلى حالتين من تطور النفس البشرية ؛ و هما الخوف والرجاء. عدد علماء الأخلاق والعرفان مراحل رحلة الإنسان نحو لقاء الله في الكتب العرفانية. المراحل التي تتعلق بروح الحركة هي: الخلوة ، و التفكير ، و الخوف ، و الرجاء ، و الصبر ، و الشكر.

"الخلوة" تعني أن الإنسان يخصص ساعة كل يوم للمناجاة مع خالق العالم العظيم. و أفضل وقت لهذا هو ساعة السحر ، عندما تكون العيون نائمة ويسود الظلام في كل مكان.

من الطبيعي أنه عندما يجد الإنسان نفسه في حضرة الله وينظر الى بركاته اللامحدودة ، فإنه يخجل من ضآلة أعماله وعباداته ، ويعتبر نفسه مدينًا لله سبحانه وتعالى.

هذه الحالة من الدعاء والمناجاة و طلب المغفرة من الله تفتح أبواب رحمة الخالق على الإنسان وتزيد من مكانته الروحية.

"التفكير" يعني التأمل و التفكير لمحاسبة النفس. هذه المرحلة من الكمال ثمينة للغاية لدرجة أن قادتنا المعصومين اعتبروا ساعة من هذا النوع من التفكير أفضل من سبعين عامًا من العبادة.

"الخوف" يعني الحذر من عواقب الذنوب والخوف من العقاب الإلهي الذي يصيب الإنسان الذي يظلم نفسه أو غيره

"الرجاء" يعني الأمل في رحمة الله اللامحدودة التي تنقذ الإنسان من الوقوع في هاوية اليأس.

كما يقول الله سبحانه و تعالى في كتابه المجيد:

"قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ" (سورة الزمر ، الآية 53).

"الصبر" هو المرحلة الخامسة من مراحل تطور الروح بالنسبة الى نفس الحركة في السلوك الى الله ﷻ. و "الشكر" في المرحلة السادسة.

\*\*\*\*\*

## الفقرة الخامسة عشرة

### منزلة التوكل و التسليم

"تراه قريبا أمه ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، منزورا أكله ، سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميته شهوته ، مكظوما غيظه . الخير منه مأمول، و الشر منه مأمون . إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، و إن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين ."

### توضيح

في هذه العبارة يشير الإمام علي (ع) إلى صفات أخرى من التقوى. إن مجموعة هذه الصفات تعود إلى إحدى خصائص التقوى، وهي الوصول إلى موقع التوكل على الله و التسليم أمام الله.

الشخص الذي يسير في طريق التطور الذاتي ، بعد أن وصل إلى موضع القرب من الله ، يحقق ست حالات من الكمال على النحو التالي:

## مقام توكل

إن الوصول إلى هذا المنصب ممكن لأولئك الذين بلغوا المستوى الرفيع من معرفة الله ، وفي ضوء ذلك ، يدركون الطريقة الصحيحة للحياة ويرون رحمة الله إلى جانبهم في جميع مراحل الحياة. وقد أدركوا عمق كلام الإمام علي (ع) في رواية قصيرة:

"مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كِفَاهُ ، وَ مَنْ سَأَلَهُ أُعْطَاهُ ، وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قِضَاهُ ، وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ".

## مقام الرضا

إذا وصل الإنسان إلى مستوى من المعرفة حتى يعرف أن الله يحبه ، وفي جميع الأحوال ، يريد خيره وما يحصل عليه من عند الله يكون مفيداً له ، سيكون راضياً بمشيئة الله تعالى و لا يندب و لا يحزن قط على حدوث مصيبة أو قلة النعم.

## مقام التسليم

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام :

"الإسلام هو التسليم ، و التسليم هو اليقين ، و اليقين هو التصديق ، و التصديق هو الإقرار ، و الإقرار هو الأداء ، و الأداء هو العمل".

إن مكانة التسليم له ثلاثة أبعاد: البعد اللفظي وهو الإقرار ، والبعد القلبي وهو التصديق ، والبعد السلوكي وهو الفعل و العمل.

إذا حقق الإنسان هذا المستوى من الكمال الروحي ، فإن إرادته تتوافق مع إرادة الله ويريد ما يريد الله ولا يحب ما لا يحبه الله. لذلك من بلغ هذا المنصب نال نعمتين عظيمتين: إحداهما راحة البال والأخرى السيطرة على الطبيعة.

لكن المواقف الثلاثة الأخرى ، "التوحيد" و "الاتحاد" و "الوحدة" ، تعبر عن المستويات العليا للمعرفة الإنسانية للكائن الأسمى.

\*\*\*\*\*

## الفقرة السادسة عشرة

### العفو و الصفح

"يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، و يُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، و يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ،  
لَيْتَا قَوْلُهُ ، غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرَّهُ".

### توضيح

يشير الإمام علي (ع) هنا إلى أحد الأبعاد لروح المتقين ، وهو صفة العفو و الصفح. وتتجلى هذه الصفة الجميلة في مختلف المظاهر التي عبّر عنها أمير المؤمنين في هذه الفقرة.

في كل هذه المواقف ، لا يتجنب الشخص التقي فقط الكلمات السيئة والسلوك غير اللائق ، بل يعامل الآخرين بالتعبير الناعم و اظهار الاحسان و تقديم اللطف بهم.

هذا المستوى من الكمال الروحي هو أعلى مرحلة من التضحية بالنفس ، و من أخلاق الأنبياء والأئمة المعصومين (ع).

يقول القرآن الكريم في سورة آل عمران، الآيات 133 و 134:

"و سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".

و يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله:

"ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا و الآخرة؟ تصل من قطعك و تعطي من حرمك و تعفوا عمّن ظلمك".

و يقول في حديث آخر:

فيقول : أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس ، فتستقبلهم الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوديتم به؟ فيقولون : كنا يُجهل علينا في الدنيا فنحمل ، و يُساء إلينا فنعفو. فينادي مناد من الله تعالى : صدق عبادي ، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب".



لهذا السبب ، ومن وجهة النظر الإسلامية ، يُعرّف العفو والتسامح على أنهما "زكاة السلطة".

قادتنا الأبرياء ، الذين دعوا الناس الى التخلق بهذه الصفة الراقية ، كانوا هم أنفسهم قدوة الآخرين في هذا الصدد. فعلى سبيل المثال ، أصدر نبي الإسلام (ص) عفواً عن قاتل عمه "حمزة" ، و الحال أن قتل هذا البطل العظيم قد وجه ضربة كبيرة لروح رسول الله والمسلمين عامة.

و قال الإمام علي (ع) للإمام الحسن ، بعد إصابته على يد ابن ملجم،: تعاملوا مع قاتلي برفق و مداراة ، و إذا نجوت سأغفر له.

كما أصدر الإمام الحسين (ع) عفواً عن حرّ بن يزيد الرياحي ، الذي منعه من الوصول الى الكوفة و أوقفه و أصحابه في كربلاء.

\*\*\*\*\*

## الفقرة السابعة عشرة

# الاستقامة و المقاومة

"في الزلازل وَقُور ، و في المكاره صَبُور ، و في الرخاء شَكُور . لا يَحِيفُ على مَنْ يُبْغِضُ ، و لا يَأْتِمُ فيمن يُحِبُّ".

## توضيح

في هذه العبارة يشير الإمام علي (ع) إلى صفات اخرى للمتقين و هي الشجاعة و المقاومة و الشكر و الإنصاف و ثبات الشخصية. إن مجموعة هذه الصفات الجميلة تتبلور في صفة واحدة و هي الاستقامة.

لذلك فإن استقرار الشخصية و القدرة على التحمل من أعلى قمم الكمال البشري ، و الوصول إلى هذا المستوى العالي مهمة شاقة. ولهذا قال نبي الإسلام الكريم: " شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ". و السبب في ذلك أن الله تعالى في سورة هود يأمر نبي الإسلام الكريم (صلى الله عليه و آله وسلم) و المؤمنين أيضا بالمتابعة و الاستقامة ويقول:

" فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " .

والنقطة الدقيقة في فهم أهمية هذه الآية في سورة هود ، هي أنه في هذه الآية ، بالإضافة إلى رسول الإسلام الكريم ، يُطلب من المسلمين أيضًا المثابرة والصبر في مواجهة الأحداث الهائلة. كان من الممكن التحلي بالصبر والمثابرة من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم. لكن من الصعب جدًا على عامة المسلمين ضمان التحمل والصبر و الاستقامة في مواجهة الصعوبات الرهيبة.

إليك خمس سمات تأتي من مصدر المثابرة و الاستقامة:

### الشجاعة

الشجاعة الحقيقية في مواجهة الأحداث القاسية تُكتسب في ضوء

اعتماد الإنسان على قوة الله الأبدية.

ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

"إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ". (سورة فصلت: الآية 30).

### المقاومة

إن المقاومة أمام عاصفة الأحداث يتحقق أيضاً في ظل الإيمان الحقيقي بالرب العظيم. لذلك قال أمير المؤمنين في بيان آخر:

«المؤمن كالجبل الراسخ ، لا يعصفه العواصف».

### الشكر

بعد اظهار الشجاعة و المقاومة تجاه الشدائد ، عادة ما يحقق المرء النجاح والنصر. لذلك يشير الإمام علي (ع) في استمرار حديثه إلى ضرورة الشكر لله عند وصول الخير والراحة. كما يقول القرآن الكريم:

" وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ". (سورة إبراهيم: 7).

## العدل و الانصاف

إن العدل في جميع المواقف ، حتى في مواجهة الخصوم والأعداء ،  
وفي جميع الظروف ، هو من الصفات القيّمة للأتقياء.

يقول نبي الإسلام الكريم:

"ما أنفق مؤمنٌ من نفقةٍ هي أحبُّ إلى الله عزَّ و جلَّ من قولِ الحقِّ  
في الرِّضا و الغَضَبِ". (كتاب الخصال: ج1، ح82)

ويقول الإمام علي (ع):

- "الحقُّ أقوى ظهير" . (شرح غررالحكم: ج1، ص187، ح 716)
- "المَغْلُوبُ بالحقِّ غالبٌ" . شرح غررالحكم: ج 1 ، ح 1066
- "إنَّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرجالِ، اعْرِفِ الحقَّ تَعْرِفْ أهْلَهُ" .  
( كتاب روضة الواعظين: ج1)

## الثبات وضبط النفس

يقول أمير المؤمنين في نهج البلاغة في مجال الاستقرار الذاتي  
وعدم ترك دائرة الحقيقة في التعامل مع الأصدقاء والأقارب:

"أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى  
مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ  
عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ".

\*\*\*\*\*

## الفقرة الثامنة عشرة

### الصدق في القول و الفعل

"يَعْتَرَفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفِظَ ، و لا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، و لا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ ، و لا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، و لا يَشْتُمُّ بِالْمَصَانِبِ ، و لا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، و لا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ".

### توضيح

الصدق في القول و العمل هو من علامات أولياء الله والأتقياء. فالرجل المتقي يكره أن يكون ذا وجهين وغير متنسق في الكلام والسلوك ، لأنه دليل على النفاق.

هذه القيمة الإلهية هي أساس السلوكيات التي يشير إليها الإمام علي (عليه السلام) كالتالي:

## الاعتراف بالحقيقة

يدين القرآن الكريم الذين يكتُمون الحق لمصلحتهم ولا يقولون الحق الذي يعلمونه ، ويقول:

"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ".  
(سورة آل عمران ، الآية 71).

## الأمانة

وأمر الله في القرآن الكريم الناس بأداء الأمانة و ردها إلى أهلها فيقول:

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ". (سورة النساء الآية 58).

و يقول الإمام الصادق (ع):

"لو أودع عندي السيف الذي قتل به جدِّي الحسين عليه السلام ، لأردّه إلى صاحبه".



## المراقبة

علماء الأخلاق يؤكدون على أهمية صفتين مهمتين للعرفاء و  
الأتقياء ، وهما المراقبة و المحاسبة.

المراقبة هي أنه في جميع الأحوال يجب على الإنسان أن ينتبه  
لسلوكه وكلامه وأفكاره وألا ينسى واجباته الدينية أمام الله.

و المحاسبة تعني أن الانسان يقضي أثناء النهار - وخاصة قبل  
النوم - بضع دقائق يفكر في أفكاره و أفعاله و سلوكه ذلك اليوم ،  
وإذا رأى خللاً في أدائه اليومي يتوب ويقرر تعويضه.

## تجنب الكلام غير اللائق

ويحذر القرآن الكريم الناس من استخدام الألقاب البذيئة في الكلام،  
و يقول في سورة الحجرات:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا  
نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا  
بِالْأَلْقَابِ".

## احترام حقوق الجيران

قال نبي الإسلام الكريم (ص) في حديث قريب من هذا التعبير: لقد أوعزني جبرائيل باحترام حقوق الجيران لدرجة أنني اعتقدت أن الجار سيرث من الجار.

## اجتناب الشماتة

الشماتة - التي تعني الاحساس بالسعادة بسبب معاناة المنافسين أو الأعداء - هي إحدى الصفات الرذيلة. لذلك ، يجب تطهير الروح من هذه الصفة القذرة.

## تجنب الباطل والتمسك بالحق

لقد بنى الله الكون على أساس الحق والعدل وطلب من البشر أن يتحركوا حول محور العدل وأن يتجنبوا الباطل. من الطبيعي أن يكون الأتقياء على رأس عباد الله ، الذين اختاروا السير في طريق الحق ، وهم في مأمن من السقوط في مستنقع الباطل.

\*\*\*\*\*

## الفقرة التاسعة عشرة

# الأدب

"إِنْ صَمَّتْ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ ، وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ ، وَ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرِيهِ ، وَ أَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ".

## توضيح

يشير الإمام علي (ع) في هذه العبارة الجميلة إلى مظاهر الأدب في وجود الأتقياء على النحو التالي:

### السمة الأولى: الصمت

إن التحكم في الكلام هو أحد الخصائص الأساسية للأتقياء. ومعنى ذلك أن المتقي ، متى عرف كلمة في اتجاه ضا الله ومنفعة الناس ، ينطق بها بقدر الضرورة ؛ وإلا اختار الصمت.

يقول أمير المؤمنين في كلمة أخرى:

"لسان العاقل وراء قلبه ، و قلب الأحمق وراء لسانه".

لذلك ، يفكر الحكيم أولاً ثم يتكلم ، والجاهل يتكلم أولاً ثم يفكر فيه.

يقول الرسول الكريم ﷺ في رواية:

"إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه".

يقول الإمام علي (ع) في حديث آخر:

"مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطئُهُ ، و مَنْ كَثُرَ خَطئُهُ قَلَّ حَيَاءُهُ ، و مَنْ قَلَّ حَيَاءُهُ قَلَّ

وَرَعُهُ ، و مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، و مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ".

السمة الثانية هي الابتسامة

ينصح أئمة الإسلام أتباعهم بالابتسام وبسط الوجه.

يرى أمير المؤمنين (ع) أن الابتسام سبب لمغفرة الذنوب فيقول:

"التبسم في وجه المؤمن الغريب من كفارة الذنوب".

ويقول الإمام محمد باقر (ع):

"تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة".

### السمة الثالثة هي الصبر

ويعتبر الإمام علي (ع) الصبر و المقاومة تجاه المصائب و الظروف القاسية من صفات المتدينين. لذلك فالرجل التقي لا يفكر فوراً في الانتقام من خصومه الذين يضطهدونه شخصياً ، بل ينتظر بصبر و يفكر أولاً في هدايتهم و توجيههم .

### الصفة الرابعة هي الايثار

إن تفضيل راحة الآخرين على رفاهية النفس هو من مظاهر التقوى المجيدة و علامة نضج النفس البشرية.

يقول القرآن الكريم في مدح الذين يختارون رفاهية الآخرين لراحتهم:

"وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنُفِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". (سورة الحشر، الآية 9).

\*\*\*\*\*

## الفقرة العشرون

# اخلاص الأتقياء

"بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنِزَاهَةٌ ، وَ دُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَ رَحْمَةٌ .  
لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَ عَظْمَةٍ ، وَ لَا دُنُوُّهُ بِمَكَرٍ وَ خَدِيعَةٍ".

## توضيح

يتضح من هذه العبارة أن الأتقياء قد وصلوا إلى درجة الكمال في الإيمان وصدق النية لدرجة أنهم جعلوا إرادة الله معيارًا لجميع سلوكياتهم ، و في كافة الظروف ، يسيرون في طريق المشيئة الإلهية.

لذلك فإن ابتعادهم عن الأشرار لا يكون إلا بسبب زهدهم وطهارتهم، وارتباطهم بأهل الكرامة و الفضيلة لا يكون الا في اتجاه رضا الله تعالى. فلا يوجد عامل آخر ، مثل الخوف والجشع ، سببا لتنظيم علاقاتهم مع الآخرين.

ويختتم الإمام علي (ع) حديثه في هذه الخطبة بهذه الفقرة التي تدل على أن وصول المتقين إلى حقيقة الإخلاص هو يمثل ذروة مجد النفس البشرية ، ولهذا السبب ، فإنه يوجب الحصول على أعلى نعمة من الله.

كما تقول السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها:

"من أصد إلى الله عزّ و جلّ خالص عمله ، أنزل الله تعالى عليه أفضل مصلحته".

من ناحية أخرى ، نعلم أن الإخلاص في العمل لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال المعرفة الحقيقية بالله والحب اللامتناهي له. و من المستحيل على شخص يعشق الله أن يعمل لأي شخص آخر.

الإخلاص هو أن الإنسان يفتح أبواب قلبه أمام الله فقط ، ولا ينظر إلا إلى رضاه في كل الأمور ، ولا يوجد عامل آخر يؤثر في فكره و كلامه و سلوكه.

من الواضح أن الله ، سيمهد للمخلصين من عباده خير الدنيا و  
الأخرة، و يعطيهم فضيلة الحكمة و المعرفة الالهية.

قد روى الإمام الرضا (ع) عن نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه  
وسلم ما يلي:

"ما أخلص عبد الله عزّ و جلّ أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه  
على لسانه".

\*\*\*\*\*